على أنه امتداد على مثال الشعر الجاهلي أو أنه تحرك جاهلي الروح إنما هو نظر مجرد بعيد عن فهم الأمور فى مواضعها ، ورؤية الأشياء فى الظروف المحيطة بها ، ذلك أننا إذا نظرنا إلى الأمور فى مسارها الطبيعى وراقبنا الأشياء فى ارتقائها وسط ما يكتنفها من ملابسات ويحيط بها من مؤثرات . . . دون تطرف أو مزايدة . . . أمكننا الاهتداء عند ذاك إلى أن الشعر العربى فى صورته الطبيعية كظاهرة أدبية حية تتحرك وتتأثر وتسير مع الحياة حيثما سارت توجه الحياة تارة وتوجهها الحياة تارة أخرى . نقول إن الشعر العربى على هذا النحو لم يكن بدعاً من ظواهر الحياة الأخرى ، ومهما قيل عن روح المحافظة فيه[1] ، وقوة نوازع التقليد عند شعرائه ، لا يقف ذلك حائلا بينه

---

(١) يقول طه حسين فى ذلك : « فلست أعرف أمة من الأمم القديمة استمسكت بمذهب المحافظة فى الأدب ولم تجدد فيه إلا بمقدار كالأمة العربية ، فحياة العرب الجاهليين ظاهرة فى شعر الفرزدق وجرير وذى الرمة والأخطل والراعى أكثر من ظهورها فى هـذا الشعر الذى ينسب إلى طرفة وعنترة وبشر بن أبى خازم » . (فى الأدب الجاهلى ص ٧١) .

ـــ وأما نجيب البهبيتى فيقول فى نظرة أخرى إلى هذا المذهب ، مذهب المحافظة : « وليست هذه المحافظة بالتى تبلغ من النفس مبلغاً يجمد بها عن التطور مع الحياة ، ويحول بينها وبين مواجهة الحقائق الجديدة فيها ، إنما هي خلة نقف بها عند حد محمود من التماسك والصمود ، وإقامة الشخصية الفنية ، على أساس وثيق من الماضى البعيد . فهى الخلة التى حالت بين القصيدة العربية ، وبين أن تصبح صدى مفتعلا لحياة أمم أخرى غالبة ، وهى الخلة التى حفظت اللغة العربية نفسها من أن تزول وتذهب مع ما ذهب من قرينات لها ، وهى الخلة التي لا تزال تبقى على هذه اللغة مفهومة حية ، وتجعل لآثارها العريقة فى النفس مكانة لا تكاد تقل عن مكانتها التى كانت لها منذ نيف وخمسة عشر قرناً . ولقد أكسبت هذه الخلة القصيدة واللغة فى صورتها وفى جوهرها قوة داخلية خاصة ، وحركة ذاتية جعلتها تساير الحياة ، وتجارى طبيعة تغيرها ، =